العرب
الأربعاء 2020/03/18
السنة 42 العدد 11650

«كوفي لاتيه» قهوة أوروبية خرجت من تحت عباءة العرب

الإماراتيون القدامى يحمّصون نواة التمر إذا شح البن

للعرب تاريخ طويل مع القهوة، يبدأ يومهم بشرب فنجان أو فناجين من القهوة وينتهي بها، كما لا تعتبر الضيافة ضيافة إذا غابت، القهوة لا بد أن تتواجد في كل الأوقات، وإن غاب الماء يحضر الحليب، قهوة الحليب عادت إلينا من أوروبا بأسماء ومذاقات متعددة فأقبلنا عليها.

العين - تعدّ القهوة التي تصنع من بذور البن المحمّصة من أكثر المشروبات والسلع انتشارا حول العالم وأصبحت وسيلة للتلاقي مع الآخرين ما يعد سببا في شعبيتها وتسميتها "المعشوقة السمراء".

ويعتبر تقديم القهوة من أهم تقاليد الضيافة في المجتمع العربي عامة والمجتمع الإماراتي خاصة، وظلت تشكل جزءا أساسيا من الثقافة العربية على مدار قرون عدة وتتميز طريقة تحضيرها وتقديمها بتقاليد وآداب عربية أصيلة.

وقالت غاية الظاهري الباحثة في الثقافة الإماراتية، إن عاشق القهوة لا يستطيع الاستغناء عنها، ويفضلها على كل طعام وشراب، وإذا شح الماء قديما فذلك لن يشكل له أي معضلة حيث يقوم بحلب شاته أو ناقته، فيغلي قليلا من البن مع الحليب لتحضير فنجان من قهوة بالحليب وهذه الطريقة في تحضير القهوة قد عرفت منذ زمن طويل لدى بدو الصحراء في منطقة بينونة بالإمارات وفي المجتمعات الصحراوية العربية، وقد نقلها الرحالة الأوروبيون وأصبحت تعرف في مجتمعاتهم بـ"كوفي لاتيه" التي هي في الحقيقة طريقة خرجت من تحت عباءة عرب بادية الجزيرة العربية.

وعادت القهوة مع الحليب في حلّة عصرية وأسماء مختلفة إلى الدول العربية، حيث تقبل عليها العائلات كفطور للصباح ويشربها الشباب والفتيات في المقاهي الحديثة.

وترمز القهوة إلى الكرم وحسن الضيافة التي يتميز بها المجتمع الإماراتي ما جعلها متأصلة بقوة في التقاليد الإماراتية.

ونظرا للأهمية الثقافية والتراثية التي تحظى بها القهوة العربية قامت الإمارات وعدد من دول الخليج العربي بإدراجها عام 2015 ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو".

وقالت غاية الظاهري، إن انتشار القهوة في منطقة الخليج العربي يعود إلى أكثر من 500 عام تقريبا إثر الامتداد الجغرافي والجوار مع المناطق الحجازية التي منها انتشر شراب القهوة إلى ما حولها عن طريق رحلات الحج بعدما وفدت هذه القهوة من موطنها الأصلي في اليمن عن طريق الأسفار التجارية ومن هناك تعرف عليها المجتمع الإماراتي.

الإيطاليون يتفنّنون في قهوة الحليب

مقادير الحليب تحدّد اسم القهوة

وأضافت أن القهوة الإماراتية لها احترامها وتقديرها المتعلق بقواعد الأدب والسلوك في المجتمع الإماراتي، فلا يعد إكرام الضيف له شأن إذا لم تقدم له القهوة حتى ولو نحرت له الذبائح وقدم له ما لذ وطاب من طعام وشراب.

وأشارت إلى أن القهوة تعد من المتطلبات الأساسية في كل بيت إماراتي، فصار فنجان القهوة الرفيق اليومي الذي يبدأ معهم صباحهم ويكرمون به ضيفهم، فنجدهم يحرصون على تزويد البيت بحبوب القهوة باستمرار قبل نفاد الكمية المتوفرة، فلا يمر يوم والبيت خال من القهوة.

وأوضحت أن القهوة الإماراتية التي تتميز عن غيرها بطريقة ودرجة تحميصها وإضافة "القناد" الذي يتألف من مواد عطرية نباتية مثل الهيل والزعفران وغيرها، تصنع بعد صلاة الفجر مباشرة حيث كانوا وما زالوا يبدأون يومهم بفنجان من القهوة، أما الوقت الآخر الذي تصنع فيه القهوة فهو بعد أذان العصر مباشرة، ويطلق عليها "قهوة العصر"، وهذه الأوقات المتعارف عليها هي الأوقات العادية، أما إن كان هناك ضيف قادم فتصنع القهوة له في الحال.

وذكرت أن الدلة تعتبر من أهم الأدوات المستخدمة أثناء تحضير القهوة فقد صُمّمت وزُيّنت بطريقة خاصة، وتوجد منها عدة أنواع تُستخدم أثناء تحضير وتقديم القهوة، ومنها ما هو متميز مثل "الدلة الفلاحية" التي تعتبر من الدلال الفاخرة، وتنسب إلى قبيلة آل بوفلاح العريقة، وتتميز عن غيرها بأنها رمز تراثي خاص يعبر عن أصالة النسب، وتجسد أيضا مفهوم الهوية الوطنية الإماراتية، وأنها صنعت من أجود الخامات من الذهب والفضة وتميزت بدقة صنعها وأناقة شكلها والتناسق بين الشكل والحجم.

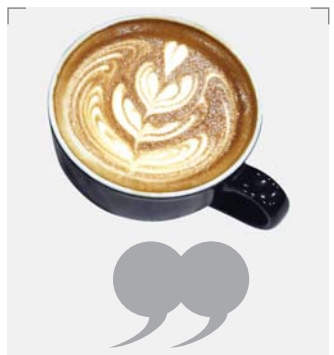

القهوة الإماراتية تتميّز عن غيرها بطريقة ودرجة تحميصها وإضافة «القناد» الذي يتألّف من مواد عطرية نباتية مثل الهيل والزعفران

وأكدت الباحثة في الثقافة الإماراتية، أن الفنجان الذي تقدم القهوة فيه يعد أداة يعبر بها أفراد المجتمع عن مختلف المواقف والأوضاع الاجتماعية التي تمجد الفضائل وتترفع عن الرذائل، وفي مقدمتها خصلة الكرم التي ترمز للعطاء والجود والسخاء، وقد عرف العرب بكل هذه المعاني قبل معرفتهم بالقهوة، لكن هذا الفنجان أضاف المعنى الجديد والأساسي للالتزام الشخصي والجماعي في مواضيع اجتماعية شتى، فهو يرمز إلى دلالات عظيمة في العادات والتقاليد والأعراف الأصيلة لدى العرب.

وأضافت أن من هذه الدلالات والعادات التي ترمز لها طلب الزواج، كما يعبر فنجان القهوة أيضا عن الالتزام في أخذ العهود، حيث يقال "بينا فنجان قهوة مشروب في حضرة خوان شما"، وهذا التعبير له دلالة على توثيق الأمر بين الجماعة إذ أن القهوة مطلوبة وحاضرة في أي مكان يكونون فيه.

وأكدت أن "المقهوي" وهو الشخص الذي يقوم بتقديم القهوة للضيوف حاز على مكانة مميزة في مجتمع الإمارات، فتقديم القهوة يتطلب الكثير من الخبرة والمهارة والصفات والأخلاق الحميدة والمظهر الحسن واللياقة البدنية التي يجب أن تتوفر في من يقوم بتقديم القهوة لما يتطلبه هذا العمل من ثقافة تراثية أصيلة ومجهود بدني وذهني عال.

ولفتت الباحثة إلى أن القهوة لها قيمة معنوية كبيرة في المجتمع الإماراتي حيث أنها تقدم كهدايا بين الأهل والأصدقاء والجيران في مختلف المناسبات مثل شهر رمضان المبارك والانتقال إلى منازل جديدة ومناسبات الزواج.

منوهة إلى أن حبوب البن كانت هي الهدية التي ينتظرها الناس عند عودة المسافرين من الأسفار، كما كان يحدث في أول ظهور لها عندما كان يجلبها الحجاج معهم وهم عائدون من أداء مناسك الحج، وهنا تبرز صفة التكافل الاجتماعي التي هي السمة الغالبة بين أفراد المجتمع الإماراتي.

وقالت غاية الظاهري "بلغت أهمية القهوة في المجتمع الإماراتي أنه خلال فترة الحرب العالمية الثانية من عام 1940 إلى 1945 توقف استيراد البن تماما ما أدى إلى شحه، فأخذ الناس يبحثون عما يستعيضون به عن البن المفقود، فاهتدوا إلى نواة التمر عوضا عنه، فصاروا يجمعون نوى التمور ثم يقومون بتنظيفه وتحميصه وطحنه ويضاف بعد ذلك إلى الماء المغلي ليتحول لونه إلى اللون البني ويغدو طعمه قريبا من طعم شراب القهوة، وإن اختلفت النكهة".

دُقّة مدينة قابعة على منصة تاريخ تونس تنتظر الاهتمام

تونس - كتاج مرصع يتلألأ في الأفق، معتليا قمة شماء محاطة من كل جوانبها بمروج خضراء وغابات الزياتين، تتربع مدينة دُقّة التونسية الضاربة في التاريخ والغنية بالإرث الحضاري.

تقع المدينة الأثرية شمال غربي تونس، وتقف في شموخ وهمّة، تزينها أقواسها الكلسية وأعمدتها المرمرية شاهدة على ثراء معمارها وجمال هندستها.

حين تتجه شيئا فشيئا نحو الموقع الأثري يتراءى لك على بعد أمتار، ما تبقى من مدينة تعاقبت عليها حضارات وشعوب مختلفة، كل ترك بصمته وأهم ما يميز حضارته.

ورغم ذلك فما من شيء يوحي إلى الاهتمام بالمدينة، التّي لا تزال واضحة جلية إلى اليوم.

ما عدا الزيارات الفردية القليلة والرحلات الطلابية النادرة بعد توقف الرحلات السياحية، لا يوجد اهتمام بدقّة كمزار سياحي تروج له السلطات.

ودقّة مسجلة منذ أكثر من عقدين، على لائحة التراث العالمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "يونسكو"، وهي وجهة سياحية وترفيهية، لكنها بانتظار اهتمام أكبر من قبل السلطات المهتمة بالتاريخ والثقافة والسياحة لتستقبل أعدادا أكبر من السائحين والزوار المحليين والأجانب.

وتنتظر المدينة من التونسيين وخاصة الشباب للترويج لهذا الصرح التاريخي عبر مواقع التواصل الاجتماعي لتكون وجهة التونسيين والأجانب المهتمين بالسياحة الثقافية.

تعاقبت على المدينة حضارات وشعوب مختلفة من البربر والقرطاجيين فالرومان والوندال والبيزنطيين، ولا تزال معالمها قائمة توحي بتلاقح ثقافي وفكري وهندسي.

تتجول وسط دقة القديمة وكأنك في رحلة نحو عصور السالفين، لتكتشف فسيفساء من المعالم مجتمعة في مدينة تحيلك على مسارح ومدن تاريخية أخرى.

لطفي النداري، أستاذ التاريخ والآثار القديمة في الجامعة التّونسية، يقول إن "دقة (كانت تكتب بالحروف اللاتينية ثقة) بربرية الأصل تعود جذورها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، كما تذكر المصادر القديمة أنها كانت مدينة فيها مؤسسات مدنية منتخبة".

ويضيف النداري، أن "دقة كانت في فترة ما تابعة لقرطاج البونية، وبعدها استقلت عنها، وأضحت تتبع ملوك البربر، وفي سنة 46 قبل الميلاد أصبحت تابعة للإمبراطورية الرومانية، التي ركزت مواطنيها في المدينة".

ومنذ سنة 26 قبل الميلاد، أصبح هناك تلاقح ثقافي وسياسي بين سكان المدينة، وتواصلت هذه الحضارة إلى غاية سنة 205 ميلاديا، وهو يوافق عهد العائلة السيفيرية (أحد أباطرة الرومان)، حيث تم الدمج بين الأهالي الأصليين والرومان، وارتقت المدينة لتصبح بلدية رومانية، ثم أصبحت مستوطنة رومانية، سنة 262، وفق المتحدث. ويوضح أستاذ التاريخ أن "من الحضارات التي تعاقبت على دقة بعد الرومان، الوندال سنة 439 ميلاديا، والإمبراطورية البيزنطية سنة 533 ميلاديا".

تتوسط الموقع الساحة العمومية وتسمى "الفوروم"، وتم إنشاؤها سنة 36 ميلاديا، وهي ساحة اجتماعات عامّة وتجارة وملتقيات، وفق المؤرخ التونسي.

ويذكر أن الموقع يضم أيضا "معبد الكابيتول"، وشيد سنة 166 ميلاديا، وهو مخصص لعبادة آلهة "الكابيتول"، وهم "جوبيتير" (ملك الآلهة الرومانية وإله السماء والبرق في الميثولوجيا الرومانية)، و"جينون" و"مينارفا" (آلهة العقل والحكمة).

ويتابع أن المسرح الذي لا يزال إلى حد اليوم صرحا ثقافيا تقام فيه الحفلات والمهرجان السنوي في دقة، تم تشييده بين سنة 166 و169. وتتميز دقة بأبوابها التي لا تزال محافظة على شكلها، وسُميت في تلك العصور بـ"أقواس النصر"، وأشهرها ذاك الذي بني سنة 205 ميلاديا، ويوجد في المدخل الشرقي للمدينة، بحسب النداري.

كما يحتوي الموقع، وفق المؤرخ التونسي، على "الحمامات الرومانية، وهي عبارة عن مركب ثقافي مزدان بحدائق وفيه أماكن مخصصة لممارسة الرياضة والمنتزهات ومكتبات للمطالعة".

وبالمدينة أيضا سوق بجانب ساحة "الفوروم"، قبالة معبد ألهة التجارة "ماركور"، شيّد في النصف الأول من القرن الأول ميلادي.

ومن المعالم التي تعود إلى الفترة النوميدية (قبل الرومان) ضريح دقة، وبني في القرن الثالث قبل الميلاد، وهو معروف بنقيشة موجودة حاليا في المتحف البريطاني، ومكتوبة باللغتين البربرية والبونية، تذكر اسم المهندس الذي يعتبره البعض أول مهندس في شمال أفريقيا، واسمه أتبان.

كما يتضمن الموقع الأثري معبد الإله بعل حمون، الموجود خارج المدينة، وتحديدا في جزئها الشمالي، إضافة إلى احتوائه على المقابر البربرية "الجلمودية"، وفق النداري.

وختم بالتشديد على أنه "لا بد من سياسة تراثية استراتيجية لقطاع التراث، وأن يتم النّهوض بالسياحة الثقافية، وهو ما يستوجب العودة إلى أهل الاختصاص، واستشارتهم في هذا الخصوص".

زوار يعدّون على الأصابع